الذهب في كندا

مَن يطالع صحف الاخبار التي صدرت في الشهر الماضي وما قبلهُ يجد الكلام اداني الطرف الشمالي الغربي من اميركا الشمالية قد اكتشفوا مناجم ذهب لم تكن معروفة قبلاً وان ذهبها وافرٌ جداً سهل المنال حتى يستطيع كل احد ان يغتني منهُ في ساعة من الزمان. هذا ما فهمهُ كثيرون من مطالعة تلك الصحف وقد سألونا عن الطرق الموصلة الى بلاد الذهب وهم يحسبون انهُ لم يبقَ بينهم وبين الغنى الاَّ مسافة الطريق. وهذه الصور الذهنية تصورها الوهم وحب الثراء ولو لم تكن كذلك في صحف الاخبار. فرأينا ان نبسط الكلام على هذا الموضوع الهام ونجرّدهُ من الهالات الشعرية التي يشيعها مَن لهم غرض في سوق الناس الى تلك البلاد لكي يأكلوا اتعابهم ويردوهم راضين من الغنيمة بالاياب فنقول

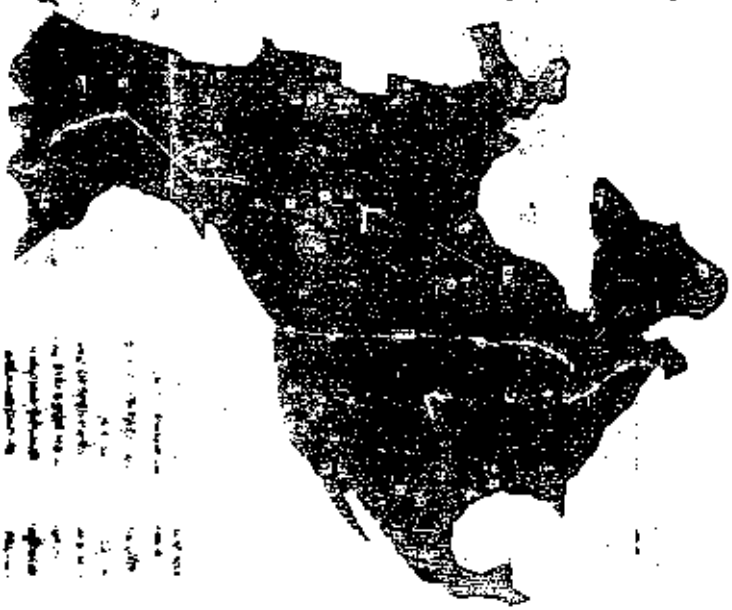

مَن ينظر الى خريطة اميركا الشمالية المرسومة هنا يرى في طرفها الشمالي الغربي قطعة مربعة الشكل عند الرقم ١ اسمها الاسكا وهي الآن للولايات المتحدة الاميركية ابتاعتها من روسيا سنة ١٨٦٧ بمليون وثمانمائة الف جنيه. وشرقي هذه القطعة بلاد كندا الواسعة الارجاء حيث رقم ٢ وهي من املاك بريطانيا العظمى. ويفصل بين كندا والاسكا خط

مستقيم متصل من البحر المتجمد الشمالي إلى قرب الاوقيانوس الباسيفيكي . ويخرق بلاد الاسكا من الشرق إلى الغرب نهر كبير كما ترى في الرسم المتقدم اسمهُ نهر يوكون منابعهُ في بلاد كندا ومناجم الذهب الجديدة في كندا بقرب الحد الفاصل بينها وبين الاسكا في مسايل نهر يصب في نهر يوكون اسمهُ كلندَيك حيث رقم ٦

ولما كانت الاسكا للروس كانوا يستخرجون الذهب منها كما يستخرجونهُ الآن من جبال أورال ولكنهم قليلو الجلبة يطلبون الكسب بعرق الجبين لا باغراء العالمين كما يفعل تجَّار الذهب الذين يجلسون ساعة كل يوم في بورصة لندن او باريس او نيويورك يقتسمون فيها مكاسب طلاَّب الذهب في مشارق الارض ومغاربها وقد يصرفونهم عنها بخفي حُنين . وظلَّ الروسيون يستخرجون الذهب من قفار الاسكا اعوامًا كثيرة كأنهم يزرعون الارض و يستغلونها لا تسمع لهم صوتًا ولا تقرأ عنهم حرفًا . ولما دخلت البلاد في حوزة الاميركيين لم يهملوا مناجمها بل عملوا فيها على قدر ما تسمح بهِ حالة البلاد الجوية فانها من ابرد البقاع على وجه البسيطة تنحط فيها الحرارة الى الدرجة الستين تحت الصفر وتجمد انهارها واتر يتها تسعة شهور من السنة لشدة البرد و يتولاها الظلام الدامس ثلاثة ارباع النهار ولا يخل قيد الجمد الاَّ ثلاثة اشهر الصيف . والبلاد قاحلة لا شيء فيها ممَّا يؤكل لكن هذه الموانع الطبيعيَّة لم تحل دون طلاَّب الثمار فكانوا يقصدونها و يستخرجون منها ما يساوي مئتي الف جنيه في السنة

وبعثت حكومة كَنَدا بجماعة من الماحين الجيولوجيين الى البلاد القريبة من تخوم الاسكا فوجدت الذهب في صخورها ومسايل انهارها ولو عُمِل بقولها لسمعنا منذ عشر سنوات ما نسمعهُ الآن من اخبار الذهب لكن رجال العلم غير رجال العمل فقد يقول مئة عالم ان الذهب كثير في البلاد الفلانية يغني طلاَّبهُ في ايام قلائل فلا يسمع لهم احد قولاً ثم يقوم رجل مثل رشيلد و يبتاع اراضي تلك البلاد و يؤلف شركة لاستخراج الذهب منها و يوزع اسهمها في اسواق المكونة و يعلنها في الجرائد فيذيع امرها حالاً و يضارب التجار فيها فيغتني مئات و يفتقر الوف

ومناجم كلنديك التي نحن بصددها اكتشفها رجل اسمهُ هندرسن على هذه الصورة كان هذا الرجل ينقِّش عن الذهب في غدير صغير يصب في نهر يوكون وفي الرابع والعشرين من شهر اغسطس سنة ١٨٩٦ زادت المياهُ في ذلك الغدير فمنعتهُ عن العمل وألجأتهُ الى التفتيش عن الذهب في مسيل غدير آخر فوجد مكانًا اسمهُ قاع الذهب ووجد فيهِ قليلاً من شذوره فاخبر رجلاً اسمهُ لادو باكتشاف قاع الذهب ثم اخبر رجلاً آخر اسمهُ مكرماك فجاء مكرماك

هذا ومعهُ اثنان من الهنود متوجهين كندا واخذا قطعةً من الارض وجعل يفتش عن الذهب فوجد ما يساوي ٢٤ جنيهاً في ثلاثة ايام

وشاع حالاً ان مكرماك اكتشف بقعة كثيرة الذهب بقرب كلنديك فتقاطر الناس اليها . ودأب مكرماك على تصويل الذهب من البقعة التي اختارها لنفسهِ هو والرجلان المتديان فاستخرجوا في ثمانية ايام ما يساوي ٢٤٠ جنيهاً

ومعلوم ان الذهب من المعادن التي حدثت اولاً حينما اخذت الارض تبرد فهو في باطن الارض لكن البراكين اخرجت بعضاً منهُ معها اخرجتهُ من المواد المصهورة ولذلك يكثر وجودهُ في الصخور البركانية الاصلي فتوجد الطرف الجنوبي من طرفي التلم الفاصل بين الاسكا والاسكا جبل شاهق اسمهُ جبل مار الياس صخورهُ بركانية والمظنون انها مشحونة بالذهب لحينما غطى الجليد البلدان الشمالية في العصر الجليدي جرت انهر الجليد من ذلك الجبل وجرفت معها كثيراً من صخورهِ وتراربهِ وما فيها من الذهب والتتها في سهول الاسكا وكندا وتفتتت تلك الحجارة والصخور بثقل الجليد وبفعل الحر والبرد وجرفت المياه حتاتها والذهب قطع الذهب في اماكنها لانها ثقيلة يتعذر على المياه جرفها وهي اما حبوب تبر دقيقة او قطع كبيرة نما يبلغ العدسة إلى ما يبلغ الجوزة الكبيرة او يزيد عليها كثيراً بعضها ذهب صرف وبعضها مخلوط بتعلم الصوان الاصلية وقد شاهدنا صورة شذرة طولها سبعة سنتمترات وعرضها نحو اربعة وفيها من الذهب ما يساوي ٣١ جنيهاً . واذا صح هذا الظن ووجد اصل الذهب في جبل مار الياس في طرف الاسكا صارت تلك البلاد القاحلة الغرض الذي يرمي اليهِ طلاب الغنى في كل الاقطار

قلنا ان الذهب وجد في كلنديك في اواخر اغسطس من العام الماضي فشاع حالاً واقبل الناس رجالاً ونساء الى تلك الارض بما يجاورها وقد استخرجوا من الذهب في غضون الصيف الماضي نحو مليون من الجنيهات . ويقدر الخبيرون ان المستخرج منهُ هذا العام يبلغ مليونين من الجنيهات . ويقولون ان الذهب موجود في ارض طولها ثلثمائة ميل . ومن القصص التي تناقلتها صحف الاخبار ان رجلاً اسمهُ مكدونلد استخرج ما يساوي سبعة عشر الف جنيه من ارض مساحتها اربعون قدماً وعمقها قدمان وذلك في ٨٢ يوماً وعاونهُ في عمله اربعة رجال فقط . وان رجلاً آخر من كتاب الجرائد نصب تلك البلاد في الشتاء الماضي واستخرج ما يساوي ثلاثة وعشرين الف جنيه من حفرتين وقال انهُ لا يزال فيهما ما يساوي مليوناً من الجنيهات . والرجل الذي لا يستخرج الاَّ ثلاثة آلاف جنيه في عامهِ يحسب

قليل البحث . هذه اقوال صحب الاخبار وهي لا تخلو من المبالغة ولكن الحقائق المقررة لا تنفي ان الذهب كثير الوجود في تلك البلاد ميسور المنال منها

ولكن السفر اليها شديد المشقة كثير النفقة فمن مدينة نيويورك شرقي الولايات المتحدة الى مدينة سيتل غربيها ٣١٦٠ ميلاً ويمكن الوصول اليها بسكة الحديد في سبعة ايام والنفقة اللازمة لذلك نحو ٢٤ جنيهاً ومن هناك يركب الانسان سفينة بخارية ويمضي بها الى مدينة جونو في غربي كندا والمسافة بينهما الف ميل فيصل اليها في ثلاثة ايام واجرة السفر ثانية وعشرون جنيهاً ونصف ويركب قارباً بخارياً من هناك في ترعة اسمها ترعة لين الى مخازن هيلي مسافة مئة ميل يقطعها في يوم واحد ثم يسير برّاً الى ان يبلغ بلاد الذهب ولا بد له من زاد يكفيه سنة وثمنهُ ١٢٠ جنيهاً ومن مؤنته يجري بها على الجليد وثمنها مع كلابها مئة جنيه . والمسافة كلها من نيويورك الى كلنديك خمسة آلاف ميل تقطع في تسعين يوماً . ويمكن السفر بسكة كندا الحديدية الى فنكوفر على الاوقيانوس الباسيفيكي ومنها الى جونو ثم الى هيلي ومنها الى كلنديك او يدور المسافر حول الاسكا غرباً مسافة ٢٥٠٠ ميل حتى يصل الى مصب نهر يوكون فيركب سفينة بخارية تمخر فيه الى قرب مناجم الذهب

والسفر في البر والانهار كثير المخاطر لكثرة الجبال والشلالات ويقال ان كثيرين من المسافرين قضوا نحبهم من مشقة السفر ومما اصابهم من البرد والجوع

وصف المستر هنري ده ونت الطريق من جونو الى كلنديك في جريدة التيمس قال "لا يدرك الانسان مشقة الطريق الاَّ بعد ان يصل الى ديا وهي على مئة ميل من مدينة جونو حيث يبتدئ السفر برّاً . وديا هذه مخزن من الخشب وخيام يبكنها الخفارون القاصدون مناجم الذهب وقد اضطررنا ان نتأخر فيها بضعة ايام حتى استطعنا ان نستخدم بعض الهنود لنقل امتعتنا وخيامنا الى البحيرات مسافة ٢٤ ميلاً فوق ممر شلكوت وهو شاهق ارتفاعهُ اربعة آلاف قدم ولابدَّ من ان يكون مع الانسان زاد يكفيه سنة والاَّ مات جوعاً لان ليس في هذه الاماكن شيء يؤكل . وممر شلكوت صعب المرتقى ومنهُ الف قدم اذا زلقت فيها قدم الانسان قضي عليه . ولما بلغناهُ اطبق علينا ضباب كثيف لكننا نجونا منهُ وبلغنا بحيرة لندمان بعد سير اربع عشرة ساعة على ثلج متخاذل ولما بلغناها اخذنا نبني قارباً لعبورها فقطعنا الاشجار وشققناها وصنعنا القارب منها وقطعنا البحيرات وهي خمس في عشرة ايام قضينا اربعة منها في خيامنا لاشتداد العواصف ثم اعترضتنا الشلالات ومنها واحد طولهُ ميل وهو كثير الارعاد والازباد . وعلى ستة اميال منهُ شلال الفرس الابيض وقد سمي الآن مدفن المعدنيين

لكثرة من قتل منهم فيه . وقلما مرّ بنا يوم بعد ان قطعنا هذا الشلال الا رأينا جثة يطفو من مدافن طلاب الذهب "

ولكن قد وجد الآن ممر آخر اسهل من ممر شلكوت ويمكن عبوره على الخيل يتصل اليه من خليج شاكواي على ٨٥ ميلاً من جونو ولا يبعد ان تنشأ سكة حديدية هناك . اما السفر حول الاسكا الى نهر يوكون وبنهُ الى كنديك فاسهل مراساً ولكنهُ اطول مسافة .

تقدّم ان ليس في بلاد كنديك طعام ولا شيء من الحاجيات ولذلك يضطر الذاهبون اليها ان يأخذوا معهم كل ما يحتاجون اليهِ من طعام ولباس وسائر حتى الخل والملح والسكر والصابون واللحم والخضر وهذه تكون متعددة بوان يأخذوا لمسافاً وجوارب واحذية لا بدَّ من ان تكون كلها من الصوف والفرو ويأخذوا معهم ايضاً كل ما يلزم لطبخ الطعام واحفار الارض وتصويل التراب والثلج وشيئاً من الادوية التي لا غنى عنها للامراض السارية . وقد وضعت هذه اللوازم بثلاثين جنيهاً والذاهب لا يصل الانسان الى كنديك ومعهُ زاد يكفيهِ سنة الا اذا انفق مئتين او مئتين وخمسين جنيهاً اجرة السفر برّاً وبحراً وثمن هذه اللوازم وسائر الضروريات المشار اليها آنفاً .

وكتب واحد من طلاب الذهب سفى كنديك الى والديهِ في اميركا يصف لهما حالة معيشتهِ فيها قال

" اقلعتُ من جونو في الشتاء الماضي ومعي من الامتعة والحاجيات ما زنتهُ الف رطل (مصري) وخمسة كلاب لجرها فنفقت مئة يوم في الطريق . واجرة الحامل هنا خمسة عشر ريالاً في اليوم ولذلك وفيت بهِ الفقة وزدت عليهِ ولكن الطعام غالٍ جداً فثمن رطل اللحم ريالان وكيس الدقيق ستون ريالاً وقد جاءنا رجل بكثير من البيض فباع البيضة الواحدة اربع الريال . وساعود اليكما ومعي من المال ما يكفي لمعيشتنا بالراحة اذا بقيت في قيد الحياة فقد كنا اربعة لما قمنا من جونو فمات منا واحد في اثناء الطريق . ويشتد البرد في الشتاء حتى تبلغ الحرارة الدرجة الستين الى الثمانين تحت الصفر . والصيف ثلاثة اشهر فقط نعمل اكثر عملنا فيها والشمس تشرق فيها اكثر النهار واما بقية الاشهر فقلما نرى الشمس فيها "

وقد اشتريت قطعة ارض بستمئة آلاف ريال دفعت منها الفين سلفاً وسادفع السبعة الباقية حينما ابلغ الذهب . والارض في الشتاء تكون جامدة من البرد الى عمق ثلاثمئة قدم ولا يمكننا حفرها ما لم نشعل النار عليها ونتركها مدة حتى يذوب الثلج الذي يملك اجزاء التربة بعضها ببعض

وهذا المكان اغنى منجم في الدنيا فقد استخرج منهُ رجلان ما يساوي ١٨٠٠٠ ريال في ساعتين. واقبح ما فيهِ ان ليس عندنا شيء نأكلهُ سوى الخبز ولحم الخنزير المقدَّد ولذلك نشا فينا داء الاسكربوط واصيب بهِ ثلث الرجال . ولا يستطيع الانسان الواحد ان يعيش هنا باقل من الف ريال في السنة . وفي هذه الاماكن الآن سبع مئة رجل وسيعود كثيرون منهم بغنى وافر حالما تأتي السفينة في نهر يوكون وهي تأتي مرةً في السنة. ولا يستطيع الانسان ان يقيم في هذه البلاد اكثر من ثلاث سنوات واذا جاءها شاباً عاد منها اشيب لسوء المعيشة وقد مرَّت الآن ثمانية ايام لم تغب الشمس فيها قط ولذلك سمينا البلاد بلاد شمس نصف الليل"

وذهبت امرأة مع زوجها الى كانديك ليقضيا شهر العسل فيها بعد الزواج على جاري عادة الافرنج او اصحاب الهوس منهم الذين يحبون الامتياز على غيرهم ولو بزيارة جهنم . وهي من الكاتبات الشهيرات فوصفت رحلتها اليها وصفاً بديعاً وهاك ترجمة بعض ما جاء فيها

اخذت ثياباً كافية لهذه الرحلة من الصوف والفراء دفعت ثمنها ٢٥٠ ريالاً وهي ثلاث بدلات كاملة وقمصان وجوارب ثخينة ورداءً من الفرو وقبعة وقفازين من الفرو ايضاً واحذية من جلد الفظ شعرها الى الداخل واخذنا مؤونة لي ولزوجي من اللحم والحبوب والاثمار المقددة بثمانمئة ريال زنتها ثمانمئة رطل . وقد قضينا ثلاثة اشهر في السفر من جونو الى المكان المسمى فورتي مايل وكنا نسير نهاراً ونضرب خيامنا ليلاً ونصنع فرشاً من اغصان الاشجار ونفرش الاحرمة عليها ونلتف بها ثم نلتف بثياب الفراء . وفي الصباح نلف احرمتنا واغطيتنا بجلد مزيَّت لكي لا يدخلها الماء ولا يصل الهواء البارد اليها . وبلغنا فورتي مايل في شهر يونيو وذهبنا منها الى كانديك في اكتوبر . وكانت مناجم الذهب بعيدةً عنا تسعة عشر ميلاً فقضينا يومين حتى بلغناها لان الجليد كان مغطًى بالماء فكنت لا اخطو خطوة حتى ازلق . وكنا قد ارسلنا رجلاً ليبني لنا كوخاً نقيم فيهِ فبنى الكوخ ولكنهُ لم يفتح لهُ كوَّة ولا باباً فوقفت خارجاً الى ان فتح فيهِ ثقباً دخلت منهُ . ولم يكن عندنا نقطة ماء فكنا نذيب الثلج على النار ونشربهُ . ومع ذلك جادت صحتي وزاد وزني ٢٥ رطلاً . ويخيم الظلام في هذه البلاد ثمانية اشهر من السنة لا يرى نور النهار فيها الاَّ اربع ساعات كل يوم . لكن الشفق طويل الاقامة والرجال يعملون على نورهِ اما نحن فكنا نوقد الشموع من الساعة الثانية بعد الظهر

والصحة هنا جيدة في الشتاء اذا لم يكن الانسان سقيماً واما اذا جاء الصيف كثرت الرطوبة في الهواء وفسد الماء وكثر البعوض وهو الد اعداء الانسان هنا

وعدنا من المناجم إلى بلد دوسن في ليلة واحدة فوصلت اليها ملطخة بالاوحال إلى وسطي

وقد فارقتها هادئة لا جلبة فيها ولا صوت فوجدتها بعد عودتي قائمة قاعدة وتبهاجتون ليتأهبن يعاقرن الخمرة مع الرجال ويصخبن ويضجن حتى لم استطع القيام في المطعم لتناول الطعام . وحيثما ذهب المجتهدون للسعي في طلب الرزق ذهب وراءهم اهل السكر والمقامرة والخلاعة ليبتزوا منهم جنى اتعابهم . وقد عدت الآن من يوكون ولن اعود اليها ولست بنادمة على رحلتي لان ما استفدته منها يساوي المشقة التي تكبدتها ولكن رحلة واحدة تكفي" . ووصف الدكتور دال احد الحفظة في معرض وشنطون الوطني كيفية استخراج الذهب من تلك المناجم قال

ان الذهب الذي في نهر يوكون نفسه لا يفي بنفقة استخراجه منه ولكنه يوجد بكثرة في الغدران التي تخرق الجبال على جانبيه فانها تحمل الذهب من معادنه وتجرف التراب الى النهر فيبقى الذهب في مسايلها وهو في الغالب مغطى بطبقة من الحصى واذا كان الشتاء تماسك الحصى بعضه ببعض بما يجمد بينه من الماء وصار كالصخر الاصم . وتجري المياه في هذه الغدران صيفاً وتكون كثيرة الاوحال الى ان يذوب الثلج كله وحينئذ يكون الصيف قد انقضى فتجمد الينابيع وتجف الغدران ولا بد من نزع الحصى الجامدة قبل البلوغ الى الذهب وهم ينزعونها الآن على هذه الصورة يجمعون الحطب فوق القمة التي يريدون حفرها ويضرمون فيها النار ويبقون النار محتدمة اثنتين وعشرين ساعة فيذوب الثلج وينفذ رباط الحصى الى عمق نصف قدم فينزعونها ثم يجمعون الحطب في هذه الحفرة ويضرمون فيها النار ويكررون ذلك الى ان يبلغوا الطبقة التي فيها الذهب ثم يضرمون النار في جوانب الحفرة ويحفرون فيها سرباً . ولا سبيل لهم لحفر الارض غير ذلك لشدة صلابتها حتى لو لغمت بالبارود لخرج منها كما يخرج من فم المدفع ولم يؤثر فيها . وما يحفر منها على هذه الصورة يكوم بعضه فوق بعض الى فصل الربيع وحينئذ تجري المياه في الغدران كما تقدم فيوصل الذهب بها

وجملة القول ان الذهب كثير في تلك البلاد ولكن السفر اليها شاق جداً والاقامة فيها تكاد تكون متعذرة ولاسيما على اهالي المشرق الذين لم تعتد اجسامهم البرد الشديد فاهيك عن ان البلاد قاحلة لا تنبت شيئاً يؤكل ولا فيها حيوان يصاد

وقبل ان نختم هذه السطور جاءتنا جريدة التيمس ونيويورك تلغراف من وشنطون عاصمة اميركا بتاريخ ١٤ سبتمبر مفادهُ ان الحكومة قد ضربت اطنابها في مناجم الذهب وجعل الناس يموتون جوعاً . وقد بحثت الوزارة الاميركية في كيفية ارسال الزاد اليهم . وقرأنا بعد ذلك ان حكومة كندا تسعى في مد سكة حديدية الى تلك البلاد فاذا تم لها هذا الامر صار السفر الى مناجم الذهب مأمون العاقبة والا فلا